الصورة البيانية في قصيدة الأزهر

لأحمد شوقي

دكتور

ماجدة يسري أحمد السيد

المدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الصور البيانية في قصيدة الأزهر لأمير الشعراء أحمد شوقي وكيف تنوعت هذه الصور بين تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية كما تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور هذه الصور البيانية في تجلية المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع كما كشفت الدراسة عن المقدرة الفائقة لشوقي في توظيف هذه الصور في سياقاتها المختلفة وبيان كيف أبدع شوقي في تصوير الأزهر كبناء شامخ وتصوير علمائه وبيان هيبتهم ومكانتهم في نفوس الناس.

الكلمات المفتاحية: الأزهر، الصورة، شوقي، الشاعر.

ماجدة يسري

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بالمنصورة، جمهورية مصر العربية

ssaad_2022@hotmail.com

Abstract:

This study aims to reveal the graphical images in the poem of Al-Azhar by the prince of the poets Ahmed Shawky and how these images varied between metaphor, metaphor, metaphor, and metaphor. This study also aims to reveal the role of these graphical images in expressing meaning and communicating it to the mind of the listener. The study also revealed the great ability of Shawqi to use these images in different contexts and to show how Shawqi was creative in portraying Al-Azhar as a tall building, depicting its scientists, and demonstrating their prestige and position in the hearts of people.

Keywords: Al-Azha r, picture , Shawqi , the poet.

Magda Yousry

Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura, Arab Republic of Egypt.

ssaad_2022@hotmail.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. حمدا لك اللهم، بك المعونة والتوفيق، ومنك الهداية لأقوم طريق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، آتيته الحكمة وفصل الخطاب، وعصمته من الخطأ وألهمته الصواب، ومننت عليه بفضيلة البيان، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من أهل الزور والبهتان. وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[1]

فتعليم البيان منة منه سبحانه، يؤتيها من يشاء من عباده ومن أوتي البيان فقد أوتي خيرا كثيرا ، وذلك لأن النفوس بطبيعتها يستميلها ويؤثر فيها الكلام الفصيح القوي الذي يأخذ بلبابها إلى آفاق بعيدة، الكلام الذي يؤجج المشاعر والأحاسيس لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)[2]

---

١) سورة الرحمن ١: ٤ .

٢) صحيح البخاري ١٩/٧ - باب الخطبة – حديث رقم: ٥١٤٦ - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

والشعر العربي كان وما يزال مجالا رحبا للدراسات البلاغية، فالشعر له أثره البالغ على النفس قديما وحديثا وكان الشعر قبل الإسلام ديوان العرب، يسجلون فيه مفاخرهم ومآثرهم وانتصاراتهم، ولما جاء الإسلام أولى الشعر عناية كبيرة لما له من تأثير في النفوس وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت رضي الله عنه: «اهْجُهُمْ – أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ» (١) وما قال ذلك صلى الله عليه وسلم إلا لعلمه بتأثير الشعر ومكانته عند العرب.

ومن هنا كانت دراستي لقصيدة من قصائد أمير الشعراء أحمد شوقي وليست أي قصيدة، بل قصيدة تحدث فيها عن صرح ودرع من دروع الإسلام، ألا وهو الأزهر الشريف ذلكم الصرح الذي طالما تصدى لهجمات شرسة على الإسلام، وما زال إلى الآن يقوم بهذا الدور، والله العظيم أسأل أن يحفظ أزهرنا وعلماءه الأجلاء، وأن يديمهم زخرا للإسلام والمسلمين.

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع

١– حبي الشديد والبالغ للأزهر واعترافي بفضله علي منذ نعومة أظافري، فأردت من خلال مجالي أن أقوم بدراسة قصيدة يشاد فيها بالأزهر وبرجاله.

---

١) صحيح البخاري ١١٢/٤ – باب ذكر الملائكة – حديث رقم ٣٢١٣– ١١٢/٧–، صحيح مسلم ١٩٣٣/٤ – باب فضائل حسان بن ثابت – حديث رقم ٢٤٨٦ – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢- شاعرية شوقي وجودة شعره وقوته عامة، وفي مدحه للأزهر ورجاله خاصة.

٣- أن هذه القصيدة لم تطرق من قبل بلاغيا، فأردت أن أميط االلثام، عن بعض الوجوه البلاغية فيها.

هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع والأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع.

التمهيد: تحدثت فيه عن شوقي وعن نشأته وشاعريته.

المبحث الأول: تناولت فيه الصورة التشبيهية التي أوردها شوقي في القصيدة وأثرها في تجلية المعنى.

المبحث الثاني: تناولت فيه الصورة المجازية التي أوردها شوقي في القصيدة وكيف كان لها الأثر البالغ في إيضاح المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع.

المبحث الثالث: تناولت فيه الصورة الكنائية التي جاء بها شوقي في القصيدة وما أحدثته تلك الكنايات من قناعات لدى السامع، وجعلته يقبل بما ادعاه شوقي.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذه القصيدة.

وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي، فقمت بتحليل الأبيات تحليلا بلاغيا مركزة على مباحث علم البيان.

حدود البحث: قصيدة الأزهر لأحمد شوقي، وقد اعتمدت على النسخة التي وردت في ديوانه " الشوقيات ".

الدراسات السابقة

لم أجد على (حد علمي) دراسة تناولت هذه القصيدة من الناحية البلاغية.

أما من الناحية الأدبية فهناك دراسة واحدة تناولت هذه القصيدة دراسة أسلوبية وهي بعنوان: قصيدة الأزهر لشوقي دراسة أسلوبية بحث منشور للدكتور هشام عبد السلام علي جاد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية.[1]

[1]) حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج . جامعة الأزهر. العددا لخامس والعشرون ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦ م – الجزء الثالث .

التمهيد

الأزهر المجيد

الجامع الأزهر هو أهم مساجد مصر على الإطلاق، وأحد المعاقل التاريخية لنشر وتعليم الإسلام كذلك هو واحد من أشهر المساجد الأثرية في مصر والعالم الإسلامي يعود تاريخ بنائه إلى بداية عهد الدولة الفاطمية في مصر، بعدما أتم جوهر الصقلي فتح مصر سنة٩٦٩ م، وشرع في تأسيس القاهرة، قام بإنشاء القصر الكبير وأعده لنزول الخليفة المعز لدين الله، وفي أثناء ذلك بدأ في إنشاء الجامع الأزهر ليصلي فيه الخليفة، وليكون مسجداً جامعاً لمدينة حديثة النشأة أسوة بجامع عمرو في الفسطاط وجامع ابن طولون في القطائع، كذلك أعد وقتها ليكون معهداً تعليمياً لتعليم المذهب الشيعي ونشره، فبدأ في بناؤه في جمادي الأول359 هـ970/م، وأتم بناءه وأقيمت أول جمعة فيه في رمضان سنة361 هـ972/ م، وعرف بجامع القاهرة ورغم أن يد الإصلاح والترميم توالت عليه على مر العصور فغيرت كثيراً من معالمه الفاطمية إلا أنه يعد أقدم أثر فاطمي قائم بمصر <

وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية هذا الجامع، والراجح أن الفاطميين سموه بالأزهر تيمناً بفاطمة الزهراء ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

يعتبر المسجد ثاني أقدم جامعة قائمة بشكل مستمر في العالم بعد جامعة القرويين ورغم أن جامع عمرو بن العاص في الفسطاط سبقه

في وظيفة التدريس حيث كانت تعقد فيه حلقات الدرس تطوعاً وتبرعاً، إلا أن الجامع الأزهر يعد الأول في مصر في تأدية دور المدارس والمعاهد النظامية، فكانت دروسه تعطى بتكليف من الدولة ويؤجر عليها العلماء والمدرسين. وألقي أول درس فيه في صفر سنة365 هـ975/م على يد علي بن النعمان القاضي في فقه الشيعة، وفي سنة378 هـ988/م قررت مرتبات لفقهاء الجامع وأعدت داراً لسكناهم بجواره وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلاً.

بعد سقوط الدولة الفاطمية أفل نجم الأزهر على يد صلاح الدين الأيوبي الذي كان يهدف من وراء ذلك إلى محاربة المذهب الشيعي ومؤازرة المذهب السني، فأبطلت الخطبة فيه وظلت معطلة مائة عام إلى أن أعيدت في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري وفي عهد الدولة المملوكية عاد الأزهر ليؤدي رسالته العلمية ودوره الحيوي، فعين به فقهاء لتدريس المذهب السني والأحاديث النبوية وعنى بتجديده وتوسعته وصيانته فعد ذلك العصر الذهبي للأزهر، كما أظهر الحكام والأعيان في العصور التالية اهتماماً ملحوظاً بترميمه وصيانته وأوقفت عليه أوقافاً كثيرة .

في عهد الملك فؤاد الأول صدر القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٣٠ للأزهر والذي بموجبه أنشأت كليات أصول الدين والشريعة واللغة والعربية لاحقاً سنة ١٩٣٣، وأصبح للأزهر رسميًا جامعة مستقلة في عام ١٩٦١. وقد اعتبرت جامعة الأزهر الأولى في العالم الإسلامي لدراسة المذهب

السني والشريعة الإسلامية .ولا يزال الأزهر حتى اليوم منارة لنشر وسطية الإسلام ومؤسسة لها تأثير عميق في المجتمع المصري ورمزاً من رموز مصر الإسلامية. (١)

شوقي نشأته وحياته: (٢)

مولده:

ولد أحمد شوقي بحي الحنفي بالقاهرة في 20 رجب 1287 هـ الموافق 16 أكتوبر 1868 ، لأب شركسي وأم يونانية تركية، وفي مصادر أخرى يذكر أن أباه كردي وأمه من أصول تركية وشركسية، وبعض المصادر تقول إن جدته لأبيه شركسية وجدته لأمه يونانية. وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل، وعلى جانب من الغنى والثراء، فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر.

تعليمه:

لما بلغ الرابعة من عمره التحق بكُتّاب الشيخ صالح، فحفظ قدرًا من القرآن وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة المبتديان الابتدائية، وأظهر فيها نبوغًا واضحًا كوفئ عليه بإعفائه من مصروفات المدرسة، وانكب على دواوين فحول الشعراء حفظًا واستظهارًا، فبدأ

ينظر الجامع الأزهر نبذة في تاريخه – محمود أبو العيون – مطبعة الأزهر ١٣٦٨ – ١٩٤٩ ، ١الشبكة العنكبوتية الموسوعة الحرة ويكيبيديا

https://ar.wikipedia.org/wiki

الموقع السابق وموقع موضوع

https://mawdoo3.com

الشعر يجري على لسانه. حين بلوغه سن الخامسة عشرة التحق بمدرسة الحقوق، وذلك سنة1303) هـ1885/م (وانتسب إلى قسم الترجمة الذي كان قد أنشئ بها حديثًا، وفي هذه الفترة بدأت موهبته الشعرية تلفت نظر أستاذه الشيخ محمد البسيوني، ورأى فيه مشروع شاعر كبير. وأثناء دراسته كان يتعلم علوم الأدب على يدي حسين المرصفي، والشيخ حفني ناصف، والشيخ محمد البسيوني البيباني.

- في عام1927 ، بايع شعراء العرب كافة شوقي أميرا للشعر، وبعد تلك الفترة تفرغ شوقي للمسرح الشعري حيث يعد الرائد الأول في هذا المجال عربيا؛ ومن مسرحياته الشعرية مصرع كليوباترا وقمبيز ومجنون ليلى وعلي بك الكبير.

خصائص شعره

لشوقي الريادة في النهضة الأدبية والفنية والسياسية والاجتماعية والمسرحية التي مرت بها مصر، أما في مجال الشعر فهذا التجديد واضح في معظم قصائده التي قالها، ومن يراجع ذلك في ديوانه الشوقيات لا يفوته تلمس بروز هذه النهضة؛ فهذا الديوان الذي يقع في أربعة أجزاء يشتمل على منظوماته الشعرية في القرن التاسع عشر وفي مقدمته سيرة لحياة الشاعر وهذه القصائد التي احتواها الديوان تشتمل على المديح والرثاء، والأناشيد والحكايات والوطنية والدين والحكمة والتعليم والسياسة والمسرح والوصف والمدح والاجتماع وأغراض عامة.

لقد كان الشاعر يملك نصيباً كبيراً من الثقافتين العربية والغربية، كما أفادته سفراته إلى مدن الشرق والغرب. يتميز أسلوبه بالاعتناء بالإطار وبعض الصور وأفكاره التي يتناولها ويستوحيها من الأحداث السياسية والاجتماعية، وأهم ما جاء في المراثي وعرف عنه المغالاة في تصوير الفواجع مع قلة عاطفة وقلة حزن، كما عرف أسلوبه بتقليد الشعراء القدامى من العرب وخصوصاً في الغزل.

منح شوقي موهبة شعرية فذة، وبديهة سيالة، لا يجد عناء في نظم القصيدة، فدائمًا كانت المعاني تنثال عليه انثيالاً وكأنها المطر الهطول، يغمغم بالشعر ماشيًا أو جالسًا بين أصحابه، حاضرًا بينهم بشخصه غائبًا عنهم بفكره؛ ولهذا كان من أخصب شعراء العربية؛ إذ بلغ نتاجه الشعري ما يتجاوز ثلاثة وعشرين ألفا وخمسمائة بيت، ولعل هذا الرقم لم يبلغه شاعر عربي قديم أو حديث.

كان ذا حس لغوي مرهف وفطرة موسيقية بارعة في اختيار الألفاظ التي تتألف مع بعضها لتحدث النغم الذي يثير الطرب ويجذب الأسماع، فجاء شعره لحنًا صافيًا ونغمًا رائعًا لم تعرفه العربية إلا لقلة قليلة من فحول الشعراء.

قصيدة الأزهر [1]

قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا ... وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا

وَاجعَل مَكانَ الدُرِّ إِن فَصَّلتَهُ ... في مَدحِهِ خَرَزَ السَماءِ النَيِّرا

وَاذكُرهُ بَعدَ المَسجِدَينِ مُعَظِّماً ... مَساجِدِ اللَهِ الثَلاثَةِ مُكبِرا

وَاخشَع مَلِيّاً وَاقضِ حَقَّ أَئِمَّةٍ ... طَلَعوا بِهِ زُهراً وَماجوا أَبحُرا

كانوا أَجَلَّ مِنَ المُلوكِ جَلالَةً ... وَأَعَزَّ سُلطاناً وَأَفخَمَ مَظهَرا

زَمَنُ المَخاوِفِ كانَ فيهِ جَنابُهُم ... حَرَمَ الأَمانِ وَكانَ ظِلُّهُمُ الذرا

مِن كُلِّ بَحرٍ في الشَريعَةِ زاخِرٍ ... وَيُريكَهُ الخُلُقُ العَظيمُ غَضَنفَرا

لا تَحذُ حَذوَ عِصابَةٍ مَفتونَةٍ ... يَجِدونَ كُلَّ قَديمِ شَيءٍ مُنكَرا

وَلَو اِستَطاعوا في المَجامِعِ أَنكَروا ... مَن ماتَ مِن آبائِهِم أَو عُمِّرا

مِن كُلِّ ماضٍ في القَديمِ وَهَدمِهِ ... وَإِذا تَقَدَّمَ لِلبِنايَةِ قَصَّرا

وَأَتى الحَضارَةَ بِالصِناعَةِ رَثَّةً ... وَالعِلمِ نَزراً وَالبَيانِ مُثَرثِرا

يا مَعهَداً أَفنى القُرونَ جِدارُهُ ... وَطَوى اللَيالِيَ رُكنُهُ وَالأَعصُرا

وَمَشى عَلى يَبَسِ المَشارِقِ نورُهُ ... وَأَضاءَ أَبيَضَ لُجِّها وَالأَحمَرا

وَأَتى الزَمانُ عَلَيهِ يَحمي سُنَّةً ... وَيَذودُ عَن نُسُكٍ وَيَمنَعُ مَشعَرا

في الفاطِمِيّينَ اِنتَمى يَنبوعُهُ ... عَذبَ الأُصولِ كَجَدِّهِم مُتَفَجِّرا

عَينٌ مِنَ الفُرقانِ فاضَ نَميرُها ... وَحياً مِنَ الفُصحى جَرى وَتَحَدَّرا

ما ضَرَّني أَن لَيسَ أُفقُكَ مَطلَعي ... وَعَلى كَواكِبِهِ تَعَلَّمتُ السُرى

---

[1]) الشوقيات: الجزء الأول:١٧٥ مؤسسة هنداوي ٢٠٠٢

لا وَالَّذي وَكَلَ البَيانَ إِلَيكَ لَم أَكُ دونَ غاياتِ البَيانِ مُقَصِّرا
لَمّا جَرى الإِصلاحُ قُمتَ مُهَنِّئاً بِاسمِ الحَنيفَةِ بِالمَزيدِ مُبَشِّرا
نَبَأٌ سَرى فَكَسا المَنارَةَ حَبرَةً وَزَها المُصَلّى وَاستَخَفَّ المِنبَرا
وَسَما بِأَروقَةِ الهُدى فَأَحَلَّها فَرعَ الثُرَيّا وَهيَ في أَصلِ الثَرى
وَمَشى إِلى الحَلَقاتِ فَانفَجَرَت لَهُ حَلقاً كَهالاتِ السَماءِ مُنَوِّرا
حَتّى ظَنَنّا الشافِعِيَّ وَمالِكاً وَأَبا حَنيفَةِ وَابنَ حَنبَلِ حُضَّرا
إِنَّ الَّذي جَعَلَ العَتيقَ مَثابَةً جَعَلَ الكِنانِيَّ المُبارَكَ كَوثَرا
العِلمُ فيهِ مَناهِلاً وَمَجانِياً يَأتي لَهُ النُزّاعُ يَبغونَ القِرى
يا فِتيَةَ المَعمورِ سارَ حَديثُكُم نَدّاً بِأَفواهِ الرِكابِ وَعَنبَرا
المَعهَدُ القُدسِيُّ كانَ نَدِيَّهُ قُطباً لِدائِرَةِ البِلادِ وَمِحوَرا
وُلِدَت قَضِيَّتُها عَلى مِحرابِهِ وَحَبَت بِهِ طِفلاً وَشَبَّت مُعصِرا
وَتَقَدَّمَت تُزجي الصُفوفَ كَأَنَّها جاندَرَكٌ في يَدِها اللِواءُ مُظَفَّرا
هُزّوا القُرى مِن كَهفِها وَرَقيمِها أَنتُم لَعَمرُ اللَهِ أَعصابُ القُرى
الغافِلُ الأُمّيُّ يَنطُقُ عِندَكُم كَالبَبَّغاءِ مُرَدِّداً وَمُكَرِّرا
يُمسي وَيُصبِحُ في أَوامِرِ دينِهِ وَأُمورِ دُنياهُ بِكُم مُستَبصِرا
لَو قُلتُمُ اِختَر لِلنِيابَةِ جاهِلاً أَو لِلخَطابَةِ باقِلاً لَتَخَيَّرا
ذُكِرَ الرِجالُ لَهُ فَأَلَّهَ عُصبَةً مِنهُم وَفَسَّقَ آخَرينَ وَكَفَّرا
آباؤُكُم قَرَأوا عَلَيهِ وَرَتَّلوا بِالأَمسِ تاريخَ الرِجالِ مُزَوَّرا

حَتّى تَلَفَّتَ عَن مَحاجِرِ رَومَةٍ فَرَأى عُرابي في المَواكِبِ قَيصَرا

وَدَعا لِمَخلوقٍ وَأَلّهَ زائِلاً وَارتَدَّ في ظُلَمِ العُصورِ القَهقَرى

وَتَفَيَّئوا الدُستورَ تَحتَ ظِلالِهِ كَنَفاً أَهَشَّ مِنَ الرِياضِ وَأَنضَرا

لا تَجعَلوهُ هَوىً وَخُلقاً بَينَكُم وَمَجَرَّ دُنيا لِلنُفوسِ وَمَتجَرا

اليَومَ صَرَّحَتِ الأُمورُ فَأَظهَرَت ما كانَ مِن خُدَعِ السِياسَةِ مُضمَرا

قَد كانَ وَجهُ الرَأيِ أَن نَبقى يَداً وَنَرى وَراءَ جُنودِها إِنكِلتِرا

فَإِذا أَتَتنا بِالصُفوفِ كَثيرَةً جِئنا بِصَفٍّ واحِدٍ لَن يُكسَرا

غَضِبَت فَغَضَّ الطَرفَ كُلُّ مُكابِرٍ يَلقاكَ بِالخَدِّ اللَطيمِ مُصَعَّرا

لَم تَلقَ إِصلاحاً يُهابُ وَلَم تَجِد مِن كُتلَةٍ ما كانَ أَعيا مِلنَرا

حَظُّ رَجَونا الخَيرَ مِن إِقبالِهِ عاثَ المُفَرِّقُ فيهِ حَتّى أَدبَرا

دارُ النِيابَةِ هَيَّأَت دَرَجاتُها فَلَيرَقَ في الدَرَجِ الذَوائِبُ وَالذُرا

الصارِخونَ إِذا أُسيءَ إِلى الحِمى وَالزائِدونَ إِذا أُغيرَ عَلى الشَرى

لا الجاهِلونَ العاجِزونَ وَلا الأُلى يَمشونَ في ذَهَبِ القُيودِ تَبَختُرا

المبحث الأول
الصورة التشبيهية

قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا وَاِنثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا

في قوله " في مد حه خرز السماء النيرا " تشبيه، حيث شبه ما يقال في مدح الأزهر من كلام، بنجوم السماء تعظيماً لشأن الأزهر وإجلالاً لمكانته.

هذا التشبيه الذي أورده شوقي جعتنا نحلق بأعناقنا وننظر إلى الأزهر وهو يعلو ويرتفع إلى عنان السماء، وهذه هي المكانية الحقيقة بالأزهر الشريف. فهو بعبارة قصيرة قد أبدع في مدح الأزهر، وأغنى عن كلام كثير، وهذامن صنع التشبيه، فمن فوائده: إيضاح المعنى المقصود مع الإيجاز والاختصار [1]

كانوا أَجَلَّ مِنَ المُلوكِ جَلالَةً وَأَعَزَّ سُلطاناً وَأَفخَمَ مَظهَرا

في قوله " كانوا أجل من الملوك جلالة " تشبيه، حيث شبه أئمة الأزهر بالملوك في التعظيم والتبجيل وكأن منزلتهم في قلوب الناس تضاهي بل تفوق مكانة الملوك في الإجلال والإعظام، ليس ذلك فحسب، بل في سلطانهم وإنفاذ رأيهم وأمرهم، كذلك شبههم بالملوك في لباسهم، فالوجه هنا متعدد، منه ما هو عقلي ومنه ما هو حسي..

---

١) علوم البلاغة : ٢١٣ – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)

فقد شبههم بالملوك في الإعظام والتبجيل وإنفاذ أمرهم ورأيهم، فهم ذو سلطان بل سلطانهم يفوق سلطان الملوك، وفي زيهم المعهود الذي هو أفخم أبهى منظر اممما يرتديه الملوك.

لكني لست مع شوقي في التعبير بالفعل الماضي " كانوا " لأن ذلك يعني أن ما وصفهم به كان في العهد الماضي وانتهى زمنه، لا والله فرجال الأزهر في كل زمان ومكان لا تزال مكانتهم وهيبتهم في القلوب، إلا إذا أراد بـ " كانوا " كانوا وما يزالوا، فكان قد تطلق ويقصد بها كان وما يزال.

زَمَنُ المَخاوِفِ كانَ فيهِ جَنابُهُم حَرَمَ الأَمانِ وَكانَ ظِلُّهُمُ الذَرا

وفي قوله زمن المخاوف كان فيه جنابهم حرم الأمان

والجناب: القرين المساير إلى الجنب "[1]، فشوقي يشبه من يقترب من هؤلاء العلماء أو يسير بجوارهم بأنه قد احتمى بحرم الأمان.

ومعلوم أن الحرم يكون آمناً، فوصفه بالأمان زيادة وتأكيد لذلك الأمان الذي يكون في جوار هؤلاء الأئمة.

---

١) لسان العرب: ٢٧٦/١ – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ – مختار الصحاح: ٤٣– زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)– المحقق: يوسف الشيخ محمد – الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م المعجم الوسيط : ١٣٨– مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) – دار الدعوة .

والتركيب كله مبالغة في عظم مكانتهم وسيادتهم التي لا تقتصر عليهم وحدهم، بل تتعداهم إلى من يسير بجوارهم أو يقترب منهم.

وقوله " كان ظلهم الذَرا "[1] تشبيه بليغ حيث شبه مجرد ظلهم بالذرا الذي هو الكنف الذي يحمى به.

وَمَشى عَلى يَبَسِ المَشارِقِ نورُهُ وَأَضاءَ أَبيَضَ لُجّها وَالأَحمَرا

فقد شبه تلك الحلقات بالهالات المضيئة في السماء، فجعل ازدياد عدد تلك الحلقات كأنه نور يتزايد بقوة، فدل ذلك على كثرة عدد الحلقات وازديادها، كذلك جعل لهذه الحلقات نورا يشع منها وهو نور العلم الذي يضيء لصاحبه طريقه.

ويمكن أن يكون أنه قد شبه ازدياد عدد الحلقات بالانفجار بجامع الكثرة والقوة.

وَتَقَدَّمَت تُزجي الصُفوفَ كَأَنَّها جانِدَرُكُ في يَدِها اللِواءُ مُظَفَّرا

---

[1]) الذرا بالفتح: كل ما استترت به. يقال: أنا في ظل فلان في ذراه، أي في كنفه وستره ودفئه. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٣٤٥/٦- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٩٣هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، المخصص: ٤٤٦/٤- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) - المحقق: خليل إبراهم جفال - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

ربما قصد بهذا البيت أن مصر قادت الأمة في أمر قضية القدس وذلك بفضل دور الأزهر وعلمائه، وقد شبه مصر في هذه الحالة بامرأة تسمى جاندراك قادت لواء الحرب ضد إنجلترا،

إِنَّ الَّذي جَعَلَ العَتيقَ مَثابَةً جَعَلَ الكِنانِيَّ المُبارَكَ كَوثَرا

وقوله " جعل الكناني المبارك كوثرا "، الكناني نسبة إلى الكنانة وهي مصر، فقد شبه شوقي الأزهر إذ هو المقصود بالكناني شبهه بالكوثرالذي هو أحد أنهار الجنة بجامع العذوبة والري، وليس المقصود به النيل كما قد يتوهم أو يتبادر للذهن في أول وهلة.

فكل من يرد الأزهر ويقصده، ينهل من معينة العذب، ويرتوي من فيوضات علمائه.

وشوقي بهذا التشبيه، يبين أن حال الأزهر وما هو عليه من العطاء، إنما هو من عند الله منة ومنحة ربانية، فكما جعل الإله البيت العتيق مثابة ومقصدا للمسلمين، هو هو سبحانه من جعل الأزهر بهذه المكانة التي هو عليها، وما ذاك إلا لما علم ما عليه الأزهر من الاعتدال والاستقامة.

الغافِلُ الأُمِّيُّ يَنطُقُ عِندَكُم كَالبَبَّغاءِ مُرَدِّداً وَمُكَرِّرا

يصور شوقي في هذا البيت مدى استجابة ذلك الغافل الأمي حين يجلس بين يدي علماء الأزهر، فيشبهه بالببغاء، ولا أري عيباً في ذلك

كما رأى البعض " أن في ذلك إساءة لطالب الأزهر، وليس هـذا شـأن طالب الأزهر " [١]

فالتشبيه بالببغاء ليس من جميع الجهات وإنما هو من جهـة واحـدة وهي سرعة الترديد لما يسمع

وقد صرح هو بهذا الوجه حين قال " مردداً ومكررا " وليس القصـد أن هذا الشخص يردد مالا يدرك ولا يعلم، وإنما القصد – والله أعلـم – أن هؤلاء العلماء لديهم من القدرة والقوة التي منحهم الله أياها، ما تجعلهم يستنطقوا الجاهل الأمي بسرعة شديدة تشبه سرعة تردد الببغاء.

كما فعل ابن المعتز حين يقول: [٢]

وكـأن الـبرق مصـحف قـار فانطباقـا مـرة وانفتاحـا

فهو لم ينظر إلى جميع صفات البرق، بل نظر إلى انبسـاط يعقبـه انقباض، وانتشار يتلوه انضمام، فشبه ذلك بمصحف، القارئ يفتح مـرة، ويطبقه مرة أخرى. [٣]

مِن كُلِّ بَحرٍ في الشَريعَةِ زاخِرٍ وَيُريكَهُ الخُلُقُ العَظيمُ غَضَنفَرا

---

١) قصيدة الأزهر لشوقي دراسة أسلوبية بحث منشور للدكتور هشام عبد السلام علي جاد ، سبق الإشارة إليه في المقدمة .

٢) ديوان ابن المعتز: ١٣٢ – طبعة الإقبال – بيروت .

٣) علوم البلاغة: ٢٢٠ .

في قوله "من كل بحر في الشريعة زاخر" يمكن أن يكون شوقي قد أراد أن يشبههم بالبحور في غزارة وسعة علمهم و فيضانه على الخلق جميعاً.

وإتيانه بلفظ " كل " وإضافة أبحر إليه مع كونه نكرة، يدل على الإحاطة والشمول، فدل ذلك على أن أي هؤلاء الأئمة قد توسعوا في شتى علوم الشريعة.

ويمكن أن يكون في الكلام حذف، والتقدير نهلوا من كل بحر لكنى أرجح الأول.

وقوله "ويريكه الخُلُقُ العظيم غضنفرا" تشبيه، حيث شبه هؤلاء العلماء بالأسد في قوته وجرأته، ومعلوم أنه إنما يشبه بالأسد في الشجاعة، وليس بالخلق العظيم الذي صرح به هنا في البيت.

ولكن ربما كان المقصود بالخلق العظيم هو قوتهم في الحق وشجاعتهم وجسارتهم حين يتصدون للباطل وأعوانه، فهم في هذه الحالة يشبهون الأسد، وحينذاك يستقيم الوجه.

والتشبيه جسد صورة هؤلاء العلماء وأبرزها أمام عين السامع واضحة جلية، فقد جعلهم أسودا بأخلاقهم، التي يهابهم الناس من أجلها.

وفي إسناد الرؤية إلى الخلق العظيم مجاز عقلي حيث أسند الفعل إلى سببه، إذ بسبب هذا الخلق العظيم، صار من يرى هؤلاء الأئمة يراهم أسوداً لها من المهابة ما لها.

وفي هذا التعبير مبالغة في قوة ذلك الوصف الذي اتصف به هؤلاء العلماء، وهوما يتحلون به من جرأة في الحق وإقدام "والمبالغة من خصائص المجاز " [1]

١) الإيضاح: ١٠٦/١ ، بغية الإيضاح ٦٧/١- عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) - مكتبة الآداب - الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

المبحث الثاني
الصورة المجازية

قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا

بدأ شوقي قصيدته بالأمر على غرار الشعر القديم، حيث يقول " قم " والأمر هنا يمكن أن يكون على سبيل التجريد، حيث جرد من نفسه شخصاً آخر ثم خاطبه ووجه إليه الأمر.

ويمكن أن يكون الأمر هنا لكل من يصله ذلك الكلام على مر الأزمان، والأمر هنا على سبيل النصح والإرشاد، فهو ينصح كل من يسمعه بتعظيم وتبجيل الأزهر، ويتجلي لنا جمال الصورة الاستعارية في قوله " قم في فم الدنيا "، حيث شبه الدنيا بإنسان فمثل الصورة يتكلم، ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الفم.

والأمر في قوله " قم وحيَ وانثر ".في الأبيات ليس ملزما لأحد، فقد جاء للإرشاد، فهو يرشدهم إلى شيء ربما غاب عنهم ولم يلتفتوا إلى أهميته. وهو تعظيم وتبجيل الأزهر.

وفي قوله " وحيَ الأزهر" مجاز مرسل علاقته إما المجاورة، إذ لاعبرة بالأمر بالتحية للأزهر كبناء، فالمقصود به رجال الأزهر وعلماؤه.

وإما أن تكون المحلية حيث ذكر المحل وهو الأزهر وأراد الحال فيه وهم رجاله وعلماؤه

وفي التعبير بقوله " وانثر " استعارة تبعية حيث استعير النثر الذي يكون للنقود والدراهم والذهب لقول الشعر.

ويمكن أن تكون الاستعارة تصريحية، حيث شبه الشعر بالجواهر بجامع علو القيمة.

وفي قوله " سمع الزمان " استعارة مكنية حيث شبه الزمان بإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السمع على سبيل الاستعارة المكنية.

والاستعرة هنا جسدت الأمر المعنوي وهو الزمان في صورة حسية، فجعلته إنسانا يسمع ويعي الشعر الذي يقال في الأزهر.

وَاجعَل مَكانَ الدُرّ إن فَصَّلتَهُ في مَدحِهِ خَرَزَ السَماءِ النَيِّرا

في قوله "خرز السماء" استعارة، فقد شبه نجوم السماء بالخرز، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، فالنجوم تجمل السماء وتزينها كما يزين الخرز الثوب.

وقوله "النيرا" جاء تتميما لوصف النجوم، فمهمة النجوم ليست قاصرة على التزيين بل لها مهمة أساسية، وهي أنها تنير السماء.

وذكر الدر والتفصيل ترشيح وتقوية للاستعارة، حيث جعل ما يقال في الأزهر من شعر جوهراً حقيقياً وذكر ما يلائم تلك الجواهر وهو الدر والتفصيل، فالاستعارة هنا مرشحة وهي أقوى أنواع الاستعارة، وذلك لأننا كلما ابتعدنا عما يقربنا إلى المستعار له كانت الاستعارة أقوى.

وَاذكُرهُ بَعدَ المَسجِدَينِ مُعَظِّماً مَساجِدِ اللَهِ الثَلاثَةِ مُكبِرا

ثم بالغ شوقي في ذلك التعظيم حيث جعل مكانته تأتي بعد المسجدين (المسجد الحرام، والمسجد الأقصى)، ولا أتفق معه في تلك المبالغة، فمن

المعلوم كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن هناك ثلاثة مساجد معظمة لا يتقدمها أي مسجد مهما بلغت مكانته وهم (المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي) فـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[1]

وهو بذلك قد تخطى مكانة المسجد الأقصى وقدم الجامع الأزهر عليه.

وَاخشَع مَلِيّاً وَاقضِ حَقَّ أَئِمَّةٍ طَلَعوا بِهِ زُهراً وَماجوا أَبحُرا

في هذا البيت بالغ شوقي مرة أخرى حين قال " واخشع " والخشوع إنما هو لله وحده دون سواه.

وفي قوله "واقض حق أئمة" استعارة حيث شبه إعطاء هؤلاء الأئمة حقهم في التوقير والتبجيل بقضاء الدين بجامع وجوب الأمر في كلٍ، فجعل إجلال وتعظيم أئمة الأزهر كأنه دين على كل من سمع بهم وبأعمالهم، دين يجب قضاؤه والوفاء به.

---

١) صحيح البخاري: باب فضل الصلاة في مكة والمدينة – رقم الحديث ١١٨٩ – ٦٠/٢ – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، وصحيح مسلم : باب لاتشد الرحال رقم الحديث (١٣٩٧) ١٠١٤/٢– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .مع اختلاف بسيط في الرواية

ويأتي الشطر الثاني (طلعوا به زُهراً وماجوا أبحرا) على سبيل التعليل لما أمر به في الشطر الأول من الخشوع وقضاء الحق، والكلام إذا جاء معللا خير أن يأتي غير معلل فـ" إثبات الشيء معلّلا آكد في النفس من إثباته مجردا عن التعليل،" [1] وذلك لأن النفس حين تتفهم الأمر وتدرك علته، تقبل على امتثال ذلك الأمر بهمة ونشاط.

وقوله " وماجوا أبحرا " استعارة حيث شبه ما عاناه علماء الأزهر من مشاق ومتاعب بالموج بجامع الاضطراب، كما شبه الطريق الذين يسيرون فيه أو المنهج الذي اتبعوه بالبحر، ومعلوم أن البحر كله مخاطر.

فهؤلاء العلماء قد تجهموا المصاعب والمخاطر حتى وصلوا بالأزهر إلى تلك المكانة التي هو عليها.

كما أن شوقي لم يجعله بحراً واحدا، بل جعله عدة أبحر، وفي ذلك كناية على أن هؤلاء العلماء لاقوا ما لاقوا في سبيل اعتلاء الأزهر تلك المنزلة العريقة.

ونداء من لا يعقل في قوله:

يا مَعهَداً أَفنى القُرونَ جِدارُهُ وَطَوى اللَيالِيَ رُكنُهُ وَالأَعصُرا

فيه تعظيم لشأن ذلك البنيان، وإسناد الافناء إلى الجدار مجاز عقلي، وكذلك إسناد الطي إلى الركن مجاز عقلي، علاقته المكانية، والتعبير

---

[1]) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز٣/٧٦ – يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) – المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

كناية عن عراقة ذلك الجامع وقدمه وثباته مع تغير الأزمان، فهو راسخ رسوخ الجبال الرواسي.

وَمَشى عَلى يَبَسِ المَشارِقِ نورُهُ وَأَضاءَ أَبيَضَ لُجّها وَالأَحمَرا

في قوله " ومشى على يبس المشارق نوره " استعارة حيث شبه النور بإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه و هو المشي.

ونرى الحياة تدب في كل شيء، فالنور يمشي ويضيء كل شيء، هذا ما قامت به الاستعارة حيث جعلت الأمور الهامدة الجامدة تدب فيها الحركة والحياة، فنجعلها تسير وتمشي.

وتقديم الجار والمجرور " يبس المشارق " على النور، تقديما للجهة بياناً لها وتعريفاً بها وبأنها كانت شاقة، تجهم العلماء فيها كل صعب، ليبين من أول الأمر أن المهمة لم تكن سهلة يسيرة، بخلاف ما لو قال مشى نوره على يبس المشارق. فقد يتصور في بادئ الأمر أن المشي كان سلسا.

وفي قوله " أضاء " استعارة حيث شبه كشف وتوضيح علماء الأزهر للناس عن الأمور بالإضاءة بجامع الإنارة والاهتداء في كل، على سبيل الاستعارة التبعية

وقوله " لجها " تعبير دقيق حيث صور تغلغل هذا النور وفيه اقتباس من قوله تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) [1]

[1]) سورة النور: ٤٠

وبين الأبيض والأحمر طباق أبرز المعنى ووضحه، كما أنه بين أن نورالأزهر قد عم المشارق فهو لم يترك مكاناً إلا وصل إليه.

وَأَتى الزَمَانُ عَلَيهِ يَحمي سُنَّةً وَيَذودُ عَن نُسُكٍ وَيَمنَعُ مَشعَرا

في قوله " أتى الزمان " استعارة مكنية، حيث شبه الزمان بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاتيان.

وإسناد الحماية إلى الأزهر والمقصود رجاله، مجاز عقلي علاقته المجاورة أو المكانية.

فإذا كان البينان وهو بنيان فما بالك برجال هذا البنيان.

ويمكن أن يكون في قوله يحمي، استعارة مكنية حيث شبه الأزهر بإنسان بجامع القدرة على الدفاع والحماية ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه.

وكذلك الفعل " يذود " إسناده إلى الضمير العائد على الأزهر مجاز عقلي حيث أسند الفعل إلى المكان وهو الجامع الأزهر والمقصود علماؤه.

وفي هذا التعبير إشارة قدر ذلك المكان وعظمه، مع أنه جماد لاحياة فيه، لكن المجاز جعل الروح تبض فيه بل جعلته يدافع ويمنع ويحمي، كل هذا من فعل المجاز.

فالأفعال (يحمي ، يذود ، يمنع) يمكن أن يكون فيها استعارة تبعية، حيث شبه الأزهر بإنسان يستطيع أن يفعل كل هذه الأمور ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي إثبات لازم المشبه به (الحماية والزود والمنـــع) إلـــى الأزهـــر استعارة تخييلية.

في الفاطِمِيّينَ اِنتَمى يَنبوعُهُ عَذبَ الأُصولِ كَجَدِّهِم مُتَفَجِّرا

في قوله " في الفاطميين انتمي ينبوعهُ " استعارة تبعية في الحرف، حيث إن الأصل أن يقال إلى الفاطميين انتمى ينبوعـــه لكنـــه اســـتعار الحرف" في " مكان الحرف " إلى " على سبيل الاستعارة التبعية.

والتعبير بالحرف " في " أقوى لما فيه من معنى الظرفية التي تفيـــد العمق، وفي ذلك دلالة على عمق وعراقة ذلك الفرع الذي هو الأزهر.

وكذلك " ينبوعه " استعارة تصريحية، حيث شبه نشأة الأزهر على يد الفاطميين بالينبوع.

وقوله " عذب الأصول " ترشيح للاستعارة فالعذوبة مـــن ملائمـــات الينبوع.

ثم شبه عذوبة هذا الينبوع بجدهم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم في طيب الأصل وعذوبته.

ثم وصف الينبوع بقوله " متفجرا " لبيان قوة ذلك الينبوع وفيضـــانه على الخلق جميعا.

عَيْنٌ مِنَ الفُرقانِ فاضَ نَميرُها وَحياً مِنَ الفُصحى جَرى وَتَحَدَّرا

ففي قوله " عين من الفرقان " حيث جاءت "عين " نكرة، ولا يخفـــى ماوراء هذا التنكيرمن التعظيم، فالأزهر له من العظمة والمكانة ما له في جميع بلدان المسلمين، فخيره فاض على الأمة في أنحاء المعمورة ، فـــلا

يعلم كنه هذه العين وما هي عليه من خير عظيم إلا الله سبحانه وتعالى. والمقصود بالفرقان القرآن فالأزهر منهجه القرآن والسنة.

والشاعر في هذا البيت يرسم صورة الأزهر الجميلة الباهرة بخيرها الفياض ونقائها من أي شائبة، يمكن أن تلوث العقل والفكر وتفسد الدين، فمنهجه الوسطية االتي لا غلو فيها ولا تفريط.

وفي كلمة " عين " استعارة تصريحية حيث شبه الأزهر بالعين التي يرتوي منها الناس بجامع الري من الظمأ.

وقوله " فاض نميرها " ترشيح للاستعارة وتقوية لها لأنه بهذا الوصف جعلها عيناً حقيقة، وليست أي عين بل عين غاية في الصفاء والعذوبة.

فصفاء هذه العين واضح وباد ولا يخفى على أحد لأنها قد فاضت حتى غمرت الجميع

وكان فيضان هذه العين وحيا من الفصحى.

وفي قوله " وحياً من الفصحى " استعارة تصريحية، حيث شبه ما يقوم به الأزهربتعليمه من الفصحى لطلابه بالوحي بجامع التعظيم لكل. فهي لغة القرآن وقد اكتسبت العظم منه.

فكأن الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى علماء الأزهر بتعليم الفصحى لهؤلاء الطلاب.

ونجد التقسيم في البيت في قوله " عين من الفرقان " وكذلك قولـــه " وحياً من الفصحى " فقد قسم وصفه للأزهر في قوله: عين من الفرقـــان فاض نميرها...وحياً من الفُصحى.

ونجد الجمل غاية في الترابط وكلها جاءت مفصولة لشـــدة الـــتلاحم الذي بين تلك الجمل.

ما ضَرَّني أَن لَيسَ أُفقُكَ مَطلَعي وَعَلى كَواكِبِهِ تَعَلَّمتُ السُرى

في قوله " ما ضرني أن ليس أُفقك مطلعي " هنا يســـتطرد شـــوقي الحديث عن هؤلاء الذين يحاولون النيل من الأزهـــر ومـــن رجالاتـــه، حيث يقول ليس يعيبني إذا كانت شمس الأزهر تملأ الأفاق ويعم ضوئها ونفعها الكل ولا تصل إلى ذلك الذين يعيب الأزهر، ليس ذلـــك بضـــار الأزهر ولا عيب ينال من مكانته ، فالعيب في هؤلاء الذين ضاق أفقهم، ولا يتسع لضوء شمس الأزهر.

وفي قوله: " أفقك مطلعي " استعارة مكنية حيث شبه الأزهر بالشمس التي تنفع الناس بمنافع كثيرة ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء مـــن لوازمه وهو الأفق والمطلع.

وتقديم " أفقك " تفيد النفي عن المتقدم فقط دون غيره فالتقديم هنا أفاد القصر، أي قصر النفي على المتقدم.

وفي قوله "على كواكبه تعلمت السرى " استعارة كذلك حيث شـــبه علماء الأزهر ورجاله بالكواكب بجامع حصول الاهتداء الاستعارة هنـــا تصريحية اصلية

وذكر السرى ترشيح للاستعارة حيث جعل علماء الأزهر كواكب حقيقية يهتدي بها في ظلمات الجهل والضلال.

وتقديم الجار والمجرور " على كواكبه " يفيد القصر والاختصاص فقد قصر تعلمه السرى على تلك الكواكب دون غيرها.

لا وَالَّذي وَكَلَ البَيانَ إِلَيكَ لَم أَكُ دونَ غاياتِ البَيانِ مُقَصِّرا

يقسم شوقي في قوله: لا والذي وكل البيان إليك، فهو كناية عن الله سبحانه وتعالى

فقد جعل الدور الذي يقوم به الأزهر من نشر للقرآن والسنة بين الناس وكشف الضلالات

أمر موكول إليه من قبل الله عز وجل، ومما وكل إلى الأزهر؛ البيان والبيان قصد به جنس البيان فهو لم يخصص نوعاً بعينه وإنما شمل كل أنواع البيان،

والبيان الثاني في قوله " لم آك دون غايات البيان مقصرا " قصد به أعلى درجات البلاغة في القول.

فبين البيان الأولى والثانية جناس تام مماثل، وهذا الجناس أحدث تناغماً في الكلام وهذا أدعى للاستمالة والاصغاء.

لَمّا جَرى الإِصلاحُ قُمتَ مُهَنِّئاً بِاسمِ الحَنيفَةِ بِالمَزيدِ مُبَشِّرا

في إسناد الفعل " جرى " إلى " الإصلاح " مجاز عقلي، حيث أسند الفعل إلى مفعوله، فلإصلاح في الأصل مفعولا وليس فاعلا.

وفي ذلك الإسناد من المبالغة ما فيه، فكأن الإصلاح هو الـــذي قـــام بنفسه، وفي ذلك دلالة على أن الوضع الذي كان عليه الأزهر كان لابـــد من إجراء إصلاحات عليه ولم يكن الأمر يحتمل أي تأخير.

وقوله " باسم الحنيفية " كناية عن الأمة الإسلامية فنحن جميعاً حنفاء على ملة أبينا إبراهيم الحنيف الذي استقام على الحق ولم يمل إلى الباطل ومال على الأديان الباطلة.

وربما كان ذكر " الحنيفية " هنا تعريض بهؤلاء الذين يبغونها عوجا ولا يريدون إصلاحا للأزهر، بل لا يريدون لها قائمة أصلاً، فـــالأزهر هو كما ذكر شوقي في سابق أبياته (عين من الفرقاء) ينحدر منها الـــري والنور للأمة الإسلامية جمعاء.

نَبَأٌ سَرى فَكَسا المَنارَةَ حَبرَةً وَزَهَا المُصَلّى وَاِستَخَفَّ المِنبَرا

في تنكير " نبأ " في قوله " نبأ سري " تعظيم وتفخيم لذلك النبـــأ فلا شك أن خير إصلاح الأزهر وتطويره، خير يسر خاطر كـــل مســـلم على وجه البسيطة، فالأزهر منارة الإسلام في الأرض وإصلاحه يمتـــد أثره إلى كل مسلم محب لدينه.

وإيثار شوقي للفظة " نبأ " دون " خبر " " لأن النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه،..... والنبأ معنى عظيم الشأن " (١)

وفي قوله " نباً سرى " استعارة مكنية حيث شبه النبأ بإنسان يسري ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " فكسا المنارة حبرة " وكذلك " زها المصلى "، واستخف المنبرا "

قد برع شوقي في تصوير نلك الفرحة العارمة التي عمت كل شيء حتى امتد أثرها إلى الجمادات فانفعلت تلك الجمادات وازدانت ابتهاجاً لذلك الخبر.

وَسَما بِأَروقَةِ الهُدى فَأَحَلَّها فَرعَ الثُرَيّا وَهيَ في أَصلِ الثَرى

ففي قوله " وسما بأورقة الهدى " استعارة مكنية فقد شبه خبر الإصلاح بإنسان

ويمكن أن يكون على سبيل المجاز العقلي فإسناد العلو بالأروقة إلى الإصلاح وخبره مجاز عقلي وعلاقته السببية، وفي هذا دلالة على قوة ذلك السبب وتأثيره.

ولا يخفى علينا ما فعلته المقابلة بين فرع الثريا وأصل الثرى من التحليق في عناق السماء بعد أن كنا في باطن الأرض.

---

١) الفروق اللغوية : ٤١- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) - حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر

فهذا التصوير المبدع من شاعر مفلق مثل شوقي، جعلنا نسبح في الخيال فتارة يعلو ويرقى بنا إلى عنان السماء، وتارة يهبط بنا إلى أصل الثرى.

وقوله " أورقة الهدى " مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث ذكر الحال وأراد المحل، فقد ذكر الهدى الذي ينشره علماء الأزهر وأراد المحل وهو الجامع الأزهر.

وفي استخدام المجاز المرسل مبالغة فقد جعل تلك الأروقة التي يدرس فيها العلم الشرعي، إنما هي أروقة هدى.

كما أنه جسد الأمر المعنوي الذي هو الهدى وجعل له حيزا وجعله يحل في أروقة الجامع الأزهر

وكذلك قوله " فأحلها " استعارة مكنية.

ثم يسترسل شوقي في الحديث عن ذلك النبأ الذي هو نبأ الإصلاح وما زال يثبت فيه الحياة والحركة، حيث يقول:

وَمَشى إِلى الحَلَقاتِ فَانفَجَرَت لَهُ حَلقاً كَهالاتِ السَماءِ مُنَوّرا

فقوله " مشى إلى الحلقات " في ذلك أيضاً استعارة مكنية، حيث شبه نبأ الإصلاح بإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه.

وهنا تصوير بديع في قوله " فانفجرت له " حيث شبه ما ينبعث من حلقات العلم والدرس في الأزهر بالانفجار بجامع القوة في الصوت ففيه استعارة تبعية.

ثم يؤكد شوقي ذلك المعنى وهو ازديات حلقات العلم في الجامع الأزهر بقوله:

حَتّى ظَنَنّا الشافِعِيَّ وَمالِكاً وَأَبا حَنيفَةِ وَابنَ حَنبَلِ حُضَّرا

فلكثرة طلبة العلم يظن الرائي لهؤلاء الطلبة أنهم يلتفون حول هؤلاء الأئمة الأربعة وقد أقبلوا عليهم لينهلوا من علمهم.

وفي ذلك مبالغة مقبولة من شوقي، فقد قربها إلى المعقول بقوله " ظننا " إذ كيف يكون هؤلاء الأئمة حاضرين في حلقات العلم في الأزهر.

هُزّوا القُرى مِن كَهفِها وَرَقيمِها أَنتُم لَعَمرُ اللَهِ أَعصابُ القُرى

فهو أمر الغرض منه النصح والإرشاد لرجال الأزهر في أرجاء مصر أن ينشروا العلم في كل مكان يصلون إليه، حتى القرى وأن يبعثوا الأمل فيهم من جديد وأن تكون الصحوة على أيديهم

وفي التعبير بقوله " هزوا " استعارة حيث شبه نشر العلم في الناس وأثره الذي يترسخ في النفس فيوقظها من غفلتها بالهز بجامع الانتباه.

وهو بهذا التصوير الاستعاري أراد أن يقول اهـ لابد أن يكون لهولاء العلماء أثر قوي في نشر الوعي والعلم حتى تهتز القرى وتفيق من غفلتها.

وشوقي بقوله " من كهفها ورقيمها " يقتبس من القرآن الكريم حيث يقول تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) [1]

[1]) سورة الكهف: ٩

ثم أشار إلى مرجعية الأزهر حتى في الحكم حيث يقول:

وَتَفَيَّئُوا الدُسُورَ تَحتَ ظِلالِهِ كَنَفاً أَهَشَّ مِنَ الرِياضِ وَأَنضَرا

حيث شبه الأزهر بالشجرة الوارفة الظلال التي يلجأ إليها الناس ليحتموا بها ويستظلوا بظلها وذلك ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

ثم شبه الأزهر بعد ذلك بالكنف الذي يحتمي به، فقد صان الأزهر تلك الفئة، ومع الحماية كان غاية في اللطف والرقة، حيث كان أهش وأنضر من الرياض

حَظٌّ رَجَونا الخَيرَ مِن إِقبالِهِ عاثَ المُفَرِّقُ فيهِ حَتّى أَدبَرا

في هذا البيت استعارة حيث شبه الحظ بإنسان يقبل ويدبر وهذا تصوير رائع من شوقي حيث جسدت الاستعارة هذا الأمر المعنوي في صورة حسية، جعلها تتحرك ولها إقبال وإدبار، مما يجعل السامع يعيش ويتفاعل بخياله مع هذه الصورة.

هنا يسوق شوقي دليلا على أن علماء الأزهر يهتمون بمعالي الأمور هو قوله:

وُلِدَت قَضِيَّتُها عَلى مِحرابِهِ وَحَبَت بِهِ طِفلاً وَشَبَّت مُعصِرا

وفي هذا استعارة حيث شبه ما تكلم به خطباء الأزهر عن قضية القدس ، بالولادة، فالبداية كانت من الأزهر ومن علمائه وخطبائه فهم دائما يحملون هم الأمة.

وكذلك " وشبت مُعصرا " فيها استعارة تدل على أهمية دور الأزهر من بداية الأمر إلى آخره.

المبحث الثالث

الصورة الكنائية

قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا وَاِشُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا

تتكاتف الاستعارة مع الكناية في قوله "قم في فم الدنيا "، حيث كنى بها عن مصر، فقد كنى عن مصر بكونها فم الدنيا، وهي كناية عن موصوف.

وهذا التعبير الكنائي يحمل في طياته معاني كثيرة، فقد بين بهذا التعبير أن مصرهي التي تسمع الدنيا إن تكلمت، وفي هذا دلالة على مكانة مصر المرموقة بين دول العالم، وقد زادها شرفاً وفخراً وجود الأزهر الشريف فيها

وفي قوله " طلعوا به زهراً " كناية عن ارتقائهم أعلى الدرجات بالأزهر فهم لم يرتضوا له أي مكانة، فقد حرصوا على مكانة متفردة لأزهرنا الشريف.

العِلمُ فيهِ مَناهِلاً وَمَجانِياً يَأتي لَهُ النُزّاعُ يَبغونَ القِرى[1]

---

١) نزع فلان إلى أهله ينزع نزاعا، أي اشتاق. وبعير نازع وناقة نازعة، إذا حنت إلى أوطانها ومرعاها . وكل غريب نزيع . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٢٨٩/٢ ، معجم مقاييس اللغة: ٤١٥/٥- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) - المحقق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ندا: والند من الطيب ، ليس عربيا . المرجع السابق ٣٥٥/٥

فقوله " العلم فيه مناهلاً ومجانياً " كناية عن غزارة العلم الذي يتحلي به به علماء الأزهر فهو ليس مهنلا واحدا، بل مناهل كثيرة لمن يرده.

وقوله " ومجانيا " كناية إلمام علماء الأزهر وإدراكهم الجيد لما يقولون ويقدمون لطلابهم، فهم يقدمون العلم في صورة ثمر قد اكتمل نضجه، فيكون العلم سهلاً مستساغاً لمن يتلقاه من الطلاب.

وجاء التعبير بـ " النزاع " دون الطلاب، وذلك ليقول لنا إن هؤلاء الفتية يحنون إلى الأزهر حنينهم لأوطانهم، وذلك لشدة تعلقهم به وبعلمائه لما رأوا منهم من كريم الأخلاق وغزارة علمهم وتقواهم.

والمقصود " بالقرى " إما أن يكون حقيقة فتكون الضيافة حقيقية وهكذا كان الحال ومازال لكل من يقصد الأزهر من خارج القطر المصري، واما أن يكون المقصود بالقرى العلم فيكون هنا كناية عن العلم.

يا فِتيَةَ المَعمورِ سارَ حَديثُكُم نَـدّاً بِـأَفواهِ الرِكـابِ وَعَنبَـرا

وقوله " يا فتية المعمور " كناية عن طلبة العلم في الأزهر، فقد سار معموراً بهؤلاء الطلبة الذين ينهلون من معنيه الذي لا ينضب أبدا.

وقوله " سار حديثكم ندا بأفواه الركاب وعنبرا " كناية عن ذيوع أخبار وأحوال رواد الأزهر الشريف، فقد ملأت سيرتهم الحسنة الأفاق فسار يتكلم عنه الرائح والغادي، وليس ذاك فحسب بل جعل الحديث عن هؤلاء الفتية، كأنه طيب يتطيب به من تكلم عنهم وماذاك إلا لطيب سيرتهم وسريرتهم. وهو قد شبه سيرتهم بأفخم أنواع الطيب بجامع

الاستطابة في كل، وشوقي بهذا التشبيه جعلنا نستنشق عبق تلك الروائح الذكية والتي كان سييها سيرة هؤلاء الفتية.

ثم يدلل شوقي على أن هؤلاء الفتية يهتمون بمعالي الأمور في قوله:

المَعهَـدُ القُدسِـيُّ كـانَ نَدِيَّـهُ قُطبـاً لِـدائِرَةِ الـبِلادِ وَمِحـوَرا

فهذا البيت كناية عن اهتمام مصر والأزهر بقضية القدس ولم يكـن اهتمام عادياً بل كان مركز ومحورا البلاد بأسرها، فهم دائما يحملون هم الأمة.

هُزّوا القُرى مِن كَهفِها وَرَقيمِها أَنتُم لَعَمرُ اللَهِ أَعصابُ القُرى

وقوله " أعصاب القرى " كناية عن قوة مكانتهم في نفـوس النـاس ومدى تأثيرهم البالغ فيمن حولهم، ولذلك جاء التعبير عـنهم بالعصـب تعبيرا دقيقا، فبدون العصب لا يقوي الإنسان على فعل شيء.

الغافِـلُ الأُمّـيُّ يَنطُـقُ عِنـدَكُم كَالبَبَغـاءِ مُـرَدِّداً وَمُكَـرِّرا

هذا البيت كناية عن قدرة هؤلاء العلماء التي منحهم الله إياهـا فهـم لديهم من القدرة ما يستطيعون بها أن يستنطقوا من يتعلم على أديهم حتى وإن كان غافلا أميا.فقد جاء بدعوى وهي مقدرة هؤلاء العلماء على تلقين العلم وإيصاله إلى الطلاب، فـ " إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوة من أن تجيء إليها فتثبتهـا هكذا ساذجا غفلا.. وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها، إلا والأمـر

ظاهر معروف، وبحيث لا يشك فيه، ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط."[1]

يُمسي ويُصبِحُ في أَوامِرِ دينِهِ وَأُمورِ دُنياهُ بِكُم مُستَبصِرا

وقوله " يصبح ويمسي" كناية عن أن من يتلقى العلم على يد هؤلاء العلماء يصير متبعاً لهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا.

وأن هذا الاتباع دائم في كل الأوقات (يمسي ويصبح)، وانظر إلى دقة تعبير شوقي حين قدم " يمسي " على " يصبح " فكأن هناك ظلمة ثم انكشفت هذه الظلمة على يد هؤلاء العلماء.

ثم دلل وأكد على أن ذلك الاتباع بقوله:

لَو قُلتُمُ اِختَرِ لِلنِيابَةِ جاهِلاً أَو لِلخَطابَةِ باقِلاً لَتَخَيَّرا [2]

---

١) دلائل الإعجاز: ١١٢- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: ياسين الأيوبي - الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية - الطبعة: الأولى .

٢) بَاقِل: اسم رجل يضرب به المثل في العِيّ، وهو من قيس بن ثعلبة . شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥٩١/١- نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) - المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله- دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

وهذا البيت كناية أيضاً عن قوة تأثيرهم في الناس – لعلمهم وتقواهم – فالناس تثق فيهم تمام الثقة لما رأوا من علمهم وأخلاقهم.

فقد بلغ من تأثيرهم في الناس أنهم لو قالوا اختاروا رجلا غير مناسب لاتبعوهم في رأيهم فكلمتهم مسموعة وموثوق بها.

ثم أكد هذا الكلام أنهم لو قالوا أن باقلا وهو رجل يضرب به المثل العي لو قالوا اختاروه لاختيار الناس دون تردد

وفي هذا دلالة على قوة سلطان علماء الأزهر على نفوس الناس، وفي هذا الكلام مبالغة غير مقبولة و الذي قرب هذا الكلام إلى القبول هو "لو".

كما أن الناس يحكمون على الناس بحكم علماء الأزهر، فمن حكم له الأزهر بشيء اعتمد الناس ذلك الحكم حيث يقول:

ذُكِرَ الرِجالُ لَهُ فَأَلَهَ عُصبَةً مِنهُم وَفَسَّقَ آخَرينَ وَكَفَّرا

وقوله " ألَه عصبة " ليس المقصود بالتألية التألية الحقيقي، الذي يقصد به المعبود وإنما هو كناية عن التعظيم والتبجيل، هذا ما أميل إليه

وإلا يعلم دقئق اللغة ويعلم مرمى كل كلمة يتفوه بها، وحكم علماء الأزهر على الناس ليس تبعاً لهواهم، وإنما يرجعون إلى الدين والشرع في أحكامهم.

ثم أخذ بين ما للأزهر من فضل في تبصير الناس بالحقائق التي زيفت حيث يقول:

آباؤُكُم قَرَأوا عَلَيهِ وَرَتَّلوا بِالأَمسِ تاريخَ الرِجالِ مُزَوَّرا

أراد أن هذا الغافل الأمي قد أفاق من غفلته التي كان عليها واستبصر الحقائق التي زيفت بالأمس:

حَتّى تَلَفَّتَ عَن مَحاجِرِ رَومَةٍ فَرَأى عُرابي في المَواكِبِ قَيصَرا

فقد تيقظ ذلك الغافل ورأى الحقيقة على يد علماء الأزهر، فرأى الأمور في صورتها الحقيقية ، فرأى الزعيم عرابي قيصرا حيث شبهه بقيصر عظيم الروم. كل هذا كناية عن الدور العظيم الذي يقوم به علماء الأزهر.

ثم أخذ يسترسل في صفات ذلك الغافل الأمي الذي كان للأزهر فضل في هدايته، حيث يقول:

وَدَعا لِمَخلوقٍ وَأَلّهَ زائِلاً وَإِرتَدَّ في ظُلَمِ العُصورِ القَهقَرى

كناية عن جهل ذلك الأمي وما كان عليه من تأخر وتردي في ظلمات الجهل.

ثم أخذ شوقي يبين مدى مدى تأثير غضبة الأزهر ورجاله حيث يقول:

غَضِبَت فَغَضَّ الطَرفَ كُلُّ مُكابِرٍ يَلقاكَ بِالخَدِّ اللَطيمِ مُصَعَّرا

وقوله " فغض الطرف " كناية عن انكسار وانهزام ذلك المكابر أمام غضبة الأزهر، فتلك الغضبة لا يمكن لأي أحد أن بتصدى لها حتى المكابر ينكسر وينحسر أمامها.

ثم أخذ شوقي يتمم وصف ذلك المكابر حيث يقول " يلقاك بالخد اللطيم مصعرا "، كناية عن الكبر والتعالي على الناس، وقد نهى الحق تبارك وتعالى عن ذلك حيث يقول (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) [1]

ثم يشير شوقي إلى دور الأزهر في وضع أسس ومعايير لدار النيابة حيث يقول:

دارُ النِيابَـةِ هَيَّـأَت دَرَجاتُهـا فَليَرقَ فِي الدَرَجِ الذَوائِبُ وَالذُرا[2]

فلا يدخل تلك الدار إلا من أجازه الأزهر، فلا يجاز إلا من كان له شرف ومكانة، بها يستحق دخول تلك الدار ، وهذا كله كناية عن مكانة الأزهر وسلطانه على الناس في كل عصر.

---

١) سورة لقمان: ١٨

٢) الذوائب: وذؤابة كل شيء: أعلاه، وكذلك ذؤابة العز والشرف. تهذيب اللغة: ٢٠/١٥- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)- المحقق: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت –الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ، المحكم المحكم والمحيط الأعظم: ١٠١/١٠- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي – المحقق: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الذرا: وذروة الشيء، بالضم والكسر: أعلاه. ويقال هو في ذروة النسب وعلا ذروة الشرف. تاج العروس: ٨٧/٣٨- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) – المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية .، المعجم الوسيط:٣١٢- مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) – دار الدعوة .

والدرج هنا كناية عن الترقي في المناصب العالية وهذه المناصب تتفاوت في درجاتها.

ثم أخذ يبين صفات هؤلاء الناس الذين يستحقون دخول تلك الدار حيث يقول:

الصارِخونَ إذا أُسيءَ إلى الحِمى وَالزائِدونَ إذا أُغيرَ عَلى الشَرى[1]

البيت كناية عن إخلاص هؤلاء وتفانيهم في الدفاع عن أوطانهم، فهم يتصدون لكل ما يمس الوطن من اعتداء سواء كان هذا الاعتاء باللسان أو بالقوة والعتاد.

ثم أختتم شوقي قصيدته بقوله:

لا الجاهِلونَ العاجِزونَ وَلا الأُلى يَمشونَ في ذَهَبِ القُيودِ تَبَختُرا

البيت كناية عن رفض الأغلال والقيود وإن كانت من ذهب فلا أحد يحب الأغلال ولا القيود فلم يرى أحد يتبختر في قيود وإن كانت من ذهب.

١) الشري: النخل ينبت من النواة ؛ الواحدة شرية. تاج العروس: ٣٦٧/٣٨

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم اجعل هذا العمل صالحا ولوجهك خالصا. في نهاية هذا البحث المتواضع، لا يسعني إلا أن أخر لله ساجدة على تفضله عليَ بانتمائي للأزهر الشريف. و من خلال دراستي لهذه القصيدة، توصلت إلى النتائج التالية:

١-غزارة هذه القصيدة بالصور البيانية والتي تنوعت ما بين تشبيه ومجاز وكناية، فقد أورد شوقي في هذه القصيدة حوالي تسع تشبيهات كان لها الدور الأكبر في توضيح المعنى، وتقريبه إلى ذهن السامع مما جعل السامع يتفاعل ويتعايش مع النص. وجاء المجاز المرسل فليلا بالنبة للاستعارات، فلم يأت المجاز إلا في موضعين اثنين، وجاء عدد الاستعارات حوالي اثنان وعشرون استعارة، ما بين تصريحية ومكنية وتبعية وأصلية، كما جاءت بعض الاستعارات مرشحة، وجاء البعض غير ذلك. و كان عدد هذه الكنايات ثماني عشرة كناية، أسهمت في تقوية المعنى ' و كان لها الأثر البالغ في نفس السامع، فالكناية دعوى مقرونة بالدليل، والكلام إذا جاء وفي طياته دليله ؛ كان أكد وأثبت من غيره.

٢-اقتباس شوقي كثيرا من التعبيرات القرآنية و لا عجب في ذلك فقد حفظ القرآن في سن مبكرة، فانطبع القرآن على لغته وتعبيراته.

٣-حب شوقي الأزهر، مع أنه لم يلتحق بذلك الصرح العظيم. لكنه تتلمذ فقط على يد بعض من رموز الأزهر الشريف ومع ذلك يذعن ويدين له بالفضل والإجلال والتعظيم. (وعلى كواكبه تعلمت السرى)

٤-جاءت الصور التي أوردها شوقي مستقاة من حياة الترف والنعيم التي نشأ فيها شوقي حيث يقول: (وانثر على سمع الزمان الجوهرا) (واجعل مكان الدر إن فصلته)

٥-كان شوقي محقا في بعض المبالغات حين وصف الأزهر ورجاله، وجانبه الصواب في بعض منها حين قدم الأزهر وجعل مكانته تفوق مكانة المسجد الأقصى. فيقول (وَاذكُرهُ بَعدَ المَسجِدَينِ مُعَظِّماً)

٦- كان شوقي دقيقا في اختيار المفردة التي تعبر عن المعنى الذي أراده ، وذلك ناتج عن تعمقه في العربية وعلومها.

٧-التشبيهات التي أوردها شوقي جاءت غاية في الدقة والبراعة وأدت الدور الذي سيقت من أجله.

٨-وفق شوقي في اختيار الصور المجازية التي اجتلبها في القصيدة، وكان لها صدى وأثر بالغ في إيضاح المعنى و إيصاله إلى السامع بل جعلت السامع يسبح بخياله حتى يصل إلى عنان السماء.

٩-جاءت الكناية دالة دلالة قوية على صدق الدعوى التي ادعاها شوقي في مواضع كثيلرة من هذة القصيدة على النحو الذي بينت.

وأخيرا أوصي إخواني الدارسين والدارسات كل في تخصصه، بالاهتمام بالدراسات التي تتعلق بالأزهر وبرجالاته في كل العصور،

وتسليط الضوء على جهود هؤلاء العلماء كل في مجاله، حتى تصل صورتهم الحقيقية إلى الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

١-الإيضاح في علوم البلاغة ١٠٦/١ - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) - المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي

٢-دار الجيل – بيروت - الطبعة: الثالثة.

٣-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة - عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) - مكتبة الآداب - الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٤-تاج العروس من جواهر القاموس - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) - المحقق: مجموعة من المحققين - الناشر: دار الهداية.

٥-تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)- المحقق: محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي – بيروت -الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٦-الجامع الأزهر نبذة في تاريخه – محمزد أبو العيون مطبعة الأزهر ١٣٦٨ – ١٩٤٩

٧-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٨-دلائل الإعجاز - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) - المحقق: ياسين الأيوبي - الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية - الطبعة: الأولى.

٩-ديوان ابن المعتز - طبعة الإقبال - بيروت.

١٠-شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم - نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)

١١-المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله- دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩

١٢-الشوقيات - مؤسسة هنداوي ٢٠٠٢

١٣-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٩٣هـ)

١٤-تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

١٥-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّالطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) - المكتبة العنصرية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

١٦-علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» -: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)

١٧-الفروق اللغوية - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) - حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر

١٨-لسان العرب - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) - الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤

١٩-المحكم والمحيط الأعظم - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت: ٤٥٨هـ

٢٠-المحقق: عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٢١-مختار الصحاح: - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)- المحقق: يوسف الشيخ محمد - الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٢٢-المخصص - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) - المحقق: خليل إبراهم جفال - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٢٣-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤-معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) - المحقق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٥-المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) - دار الدعوة.

٢٦-مفتاح العلوم - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) - ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور - الناشر: دار الكتب

العلمية، بيروت – لبنـــان – الطبعـــة: الثانيـــة، ١٤٠٧ هـــــ – ١٩٨٧م

٢٧- المجلات والدوريات:

٢٨-حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربيـــة للبنـــات بســـوهاج. جامعة الأزهر. العدد الخامس والعشرون ١٤٣٧هـــ - ٢٠١٦ م – الجزء الثالث.

٢٩- المواقع الالكترونية:

٣٠- الشبكة العنكبوتية الموسوعة الحرة ويكيبيديا

https://ar.wikipedia.org/wiki

٣١-موقع موضوع

https://mawdoo3.com